



إن من تأمل كتاب الله عز وجل وتدارك آياته البينات وجد موضوعها الأساس هو توحيد الله عز وجل والأمر بعبادته وحده، وذكر ما أعده الله عز وجل للموحدين من عباده من النعيم المقيم، وما أعده للمشركين أعداء توحيده من النكال والعقاب الأليم، وضمنه ما شرعه لعباده من الشرع الحكيم الذي يحققون به عبادة الله عز وجل واستسلامهم له وإسلامهم لحكمه.

وهذه هي حقيقة الإيمان وحقيقة الإسلام الذي هو دين الرسل جميعاً، الذين دعوا إلى إسلام الوجه لله عز وجل بعبادته وحده والتسليم لأمره وحكمه؛ حيث إن العبودية الصادقة لا تتحقق إلا بالإسلام والتسليم والانقياد لله رب العالمين.

وقد وردت في كتاب الله عز وجل نصوص كثيرة مبينة لمعنى هذا الإسلام والتسليم وفضل أهله، منها قوله تعالى: {إِنَّمَا مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 112]، وقوله عز وجل: {وَمَنْ أَحْسَنَ دِينَنَا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَأَنَّحَدَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: 125]، وقوله تعالى: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [لقمان: 22]، وقال عن خليله إبراهيم إمام الحنفاء عليه الصلاة والسلام: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْنَطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ} 130 إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلَمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ 131 وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِي إِنَّ اللَّهَ

اصطَفَ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمُ مُسْلِمُونَ》 [البقرة: 130 – 132]، ومن ذلك قوله تعالى: {بِاَلْيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَمِ كَافَةً وَلَا تَنْهِيُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ》 [البقرة: 208]، وقد وصف الله عز وجل من امتلاً قلبه بالإيمان والتسليم لله تعالى بأنه ذو «قلب سليم» جاء ذلك في ثنائه سبحانه على خليله إبراهيم # بقوله: {وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ 83 إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الصفات: 83، 84] كما جاء ذلك في دعاء الخليل عليه السلام لربه بقوله: {وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبَعَثُونَ 87 يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ 88 إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 87 – 89]، لذا فإن التربية الإيمانية على محبة الله عز وجل وتعظيمه ورجائه والخوف منه والتسليم لأمره ونهاه وحبه لتأتي اليوم على رأس الأولويات والواجبات التي ينبغي للمربيين أن يعتنوا بها، وذلك للأمور التالية:

الأمر الأول:

وجوب بيان معنى الإيمان والإسلام الحقيقي لله تعالى المنجي عند الله عز وجل من سخطه وعذابه الذي يبعث به الأنبياء والرسل وجعله الغاية من خلق التقلين، وأنه ليس بمجرد الانتساب للإسلام والهوية الإسلامية أو فعل بعض الواجبات وترك بعض المحرمات فحسب وإنما هو إسلام النفس لله تعالى بعبادته وحده لا شريك وإخلاص التوحيد له سبحانه وإنفراحه بالمحبة والخوف والرجاء وسلامة القلب من كل شبهة تعارض الخبر، ومن كل شهوة تعارض الشرع والأمر، ومن كل اعتراف يعارض القضاء والقدر، وبيان أن هذه هي مواصفات القلب السليم المستسلم لربه سبحانه الراجي لرضوانه وبأن سلامة القلب ليست مجرد ما يفهمه كثير من الناس بأنه القلب السالم من الحقد والحسد والغل، حيث يقصرون وصفه على ذلك فحسب؛ بل هو أكبر وأشمل من هذا الفهم القاصر بكثير. لذا فإن بيان هذا الأصل العظيم من أوجب الواجبات وأهم المهمات، فعليه يقوم بناء الدين وبه يتحقق الإيمان الذي يثمر سعادة الدنيا والآخرة. وإنه لمن أكبر المصائب على العبد أن يخرج من هذه الدنيا وهو جاحد بهذا الأصل العظيم لم يذق له طعمًا.

ولا تظهر الحاجة بل الضرورة إلى هذا الأمر كما تظهر في واقعنا المعاصر لذا فإن التربية على هذه المعاني اليوم من أعظم الواجبات وأهم الضروريات، حيث يجب على العبد تفقد هذا الأمر في نفسه وتربيتها على التمسك به، وذلك لما ظهر في زماننا اليوم من قلة الوعي الديني الذي سببه ضعف تعظيم الله عز وجل في النفوس وقلة الخوف منه وتوقيره والحياء منه، مما كان له الأثر في الجرأة على المحرمات والاستهانة بالواجبات والجرأة على النصوص الشرعية المحكمة وردها وأصبحنا نرى تطفل كثير من الكتاب والمثقفين الجاهلين بعلوم الشرعية يتعاملون بأهواهم مع نصوص الكتاب والسنن كأي علم إنساني آخر ليس لها خصوصية التعظيم والتوقير، فالكل له الحق في الخوض في القضايا الشرعية وانتقاد المناهج الشرعية وعلماء الشريعة بحجة أن الدين ليس حكراً على طائفة!! أو بقولهم لا ت quamidوا الدين في كل شيء، وقد تأثر بطروحاتهم هذه عدد ليس بالقليل من الناس.

وكل ذلك إنما نشأ من الهوى وضعف الإيمان بالله عز وجل فاطر السموات والأرض، والجهل بمعاني أسمائه الحسنى وصفاته العلا التي تثمر في النفوس التعظيم لله عز وجل والتسليم له وقبول شرعيه والانقياد له محبة ويقينًا وخوفًا ورجاءً وقبولاً واستسلامًا؛ قال الله عز وجل عن نبيه نوح # وهو يدعو قومه: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح: 13] لذا فإن التربية على هذا الأصل وإشاعة فهمه في الأمة لمن أكبر أسباب تقوية الإيمان والانقياد لأوامر الله عز وجل والاستسلام له.

الأمر الثاني:

ما ظهر في زماننا اليوم من ثورة هائلة في وسائل الإعلام والتواصل والاتصالات واستخدام هذه الوسائل من قبل أعداء هذا الدين من كفار ومنافقين في بث الشهوات وتسهيل الوصول إلى المحرمات وإثارة الشبهات والشكوك والاعتراضات على

ثوابت هذا الدين وأصوله وأحكامه، فتأسست من أجل ذلك مواقع إلكترونية وقنوات فضائية ودور نشر تمكّر في الليل والنهار، فقسّت القلوب بذلك ووافقت عند بعض أبناء المسلمين قلوبًا خاوية من العلم والشرع والتقوى آلت ببعضهم إلى الحيرة والشك والعياذ بالله تعالى، فلا جرم كانت الحاجة بل الضرورة ماسة لرد الناس إلى الفهم الصحيح للإسلام والإيمان وتربيتهم عليه وأنه قائم على التسليم لله عز وجل رب الناس ملك الناس العليم الحكيم اللطيف الخير العظيم الكبير العلي الأعلى الرحمن الرحيم العليم الخبير القوي العزيز له الأسماء الحسنى. وهنا ينبغي التأكيد على أن رد الشبهات المثارّة حول هذا الدين وأحكامه لا يكون بالوقوف عند الشبهة وردها مجردة وإنما يكون بالتربيّة الإيمانية، وذلك بربط القلوب بربها والاستسلام له والتسليم لأمره وخبره وشرعه وما لم تتمكن هذه الأحوال من القلوب فلن تجد مناقشة الشبهات والرد عليها مجردين عن هذا الأصل العظيم، فإذا تمكن في القلوب الإيمان والتسليم الحق لله عز وجل وانقادت القلوب لبارئها وقوي يقينها بربها واستسلمت لأخباره فكلها صدق، وأحكامه فكلها عدل وفضل ورحمة قال سبحانه: **{وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}** [الأنعام: 115]، صدق في الأخبار وعدل في الأحكام، فمّا اتصفت القلوب بهذا التسليم لم يكن للشبهات ولا الشهوات عليها طريق وإن وردت فإنها ترد بهذا التسليم وقوه الإيمان واليقين وبيان حكمة الله عز وجل فيما يشرع، وما لم تتبين الحكمة فيه فلقصور في العقول، وحينئذ يتلقى بالتصديق والقبول والتسليم كما قال الراسخون في العلم **{آمَنَّا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدِ رَبِّنَا}** [آل عمران: 7].

الأمر الثالث:

إن في طرح هذا الموضوع المهم ورد الناس إليه علاجًا لكثير من الأمراض القلبية والنفسية التي كثرت في الأزمنة المتأخرة، كالقلق والحيرة والاضطراب والاكتئاب، والتي مرد كثير منها إلى ضعف الإيمان والرکون إلى الدنيا ونسيان الآخرة مما نشأ عنه كثرة الاعتراضات التي تكون في القلوب، سواء على أخبار الله عز وجل الغيبية أو على أحكامه الشرعية أو على أقداره المؤلمة.

ولا سبيل لعلاجها إلا بمعرفة الله عز وجل حق المعرفة وتعظيمه وإجلاله والتعبد له سبحانه بأسمائه الحسنى وإقامة واعظ الله في القلوب والتسليم للخالق العليم الحكيم الذي هو على كل شيء قادر يعلم ولا نعلم ويقدر وهو عالم العيوب **{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَبِيرُ}** [الملك: 14]، وبهذا التسليم والتغويض والتقويض والتربيّة الإيمانية تحصل الراحة والسكينة والطمأنينة.

الأمر الرابع:

ظهور أقلام وأصوات لبعض المنافقين الذين يسمون أنفسهم بالليبراليين أو العلمانيين ومن تأثر بهم ممن يتسمى بالعصرانيين والتنويريين تدعوا إلى فصل الدين عن الحياة، وتزعم أن نصوص الوحي لم تعد صالحة لإدارة شؤون الحياة المعاصرة إلا بقراءة جديدة ومتطرفة، ويسمون من يدعوا إلى التسليم لكتاب والسنة وتحكيمها في جميع شؤون الحياة بأصحاب الإسلام السياسي ويكيلون لهم شتى التهم المنفرة كالمتطرفين والإرهابيين والأصوليين؛ فكان لا بد من التصدي لهذه الدعوات الخبيثة. وذلك بالتربيّة المكثفة على الإيمان والتسليم لله تعالى وشرعه حيث إن مثل هذه التربية تعد من أقوى ما تواجه به هذه الدعوات الخبيثة. وأشد شيء يخشاه أصحاب هذه الدعوات أن يواجهوا بهذا السيف البتار سيف التسليم والإسلام لله تعالى وتربيّة الناس عليه والذي هو ركن التوحيد والعبودية لله عز وجل قال تعالى: **{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}** [النساء: 65].

الأمر الخامس:

طغيان الحياة المادية والثورة الصناعية وطغيان العلوم التجريبية في حياة الناس مما كان له الأثر في إضعاف الإيمان بالغيب وغرور الإنسان بعقله والتركيز على الأمور المحسوسة ورد كل ما لا يدرك العقل كيفيته فكان لا بد من تدارك هذا المرض ببيان مكانة العقل وحدوده ودوره في تلقي النصوص وأثر الإيمان والتسليم في علاج مثل هذه الأمراض.

الأمر السادس:

ما نشهده اليوم من افتتاح كبير على متع الدنيا وزخرفها وزينتها، الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً، وما صاحب ذلك من وسائل دعائية ماكرة، تدعى الناس إلى بهجة الحياة الدنيا ومتاعها الزائل، وتلاحق الناس بكل جديد من وسائل الترف والمتعة والزينة، تدعى الناس إليها وتسهل الوصول إليها وترغب الناس فيها، والرکون إليها، وكأنهم مخلدون فيها فنسية الآخرة، وأصبح الناس في لهث وراء الدنيا والتکاثر فيها، ومتابعة الجديد منها في كل صباح ومساء، حتى أصبحت عند كثير من الناس غاية بتنافسون فيها ويتھاسدون. وأصبحنا نرى جلياً ذلك التفرق والتدابر الحاصل اليوم بين ذوي الأرحام والإخوان بل بين بعض الدعاة والمجاهدين والذي يمكن عزو كثير من أسبابه إلى هذه الدنيا، والتکاثر فيها، والغفلة عن الآخرة وضعف الإيمان واليقين والإخلاص، ولا علاج لذلك إلا بالتربيـة الإيمانية وإصلاح القلوب وإنـشاء هـم الآخرة في النفوس.

والحمد لله رب العالمين..

مجلة البيان العدد 336

المصادر: